الغزل فى شعر المرأة ...

للشيخ محمد رجب البيومى

— ١ —

من الأدب النسوى :

شعر المرأة فى مجموعه قليل ضئيل فأنت تجد الموسوعات الأدبية تزخر بأشعار الرجال فى شتى المواضيع ، دون أن تطالع للمرأة غير البيتين أو الثلاثة فى الفصل الطويل ، ولا يرجع ذلك إلى عبن أو تقصير فى جنب المرأة كما قد يتوهم فريق من الناس ، بل لأن المؤلف يحرص على أن يختار لقرائه أنفس ما وقعت عليه عينه من رائع الشعر ، وبديع القول ، والمرأة وإن أجادت فى كثير من الأغراض فالرجل بلا شك أكثرمنها إجادة ، وأكمل توفيقاً ، فالمؤلف إذن معذور مشكور ...

النسوة اللاتى لم يغادرن بلادهن ، إلى مختلف بلاد القطر . فهؤلياء لا يتكلمن بالعربية على الإطلاق ، لأنهن لا يكدن يعرفن عنها شيئاً أكثر مما يعرف عنها أهل القطبين !!

ومن العجيب أن التنافس شديد فى العلم والمعرفة ، والرقى إلى المناصب السامية ، والتخلص من ربقة الماضى الأليم — بين أهل الشمال وأهل الجنوب من النوبيين فحسب ، أو بالحرى بين المنطقة الأولى والمنطقة الثالثة ، ويظهر ذلك جلياً بين تلاميذ مدرسة عنيبة ، فى بدء العام الدراسى عند الدخول أو الالتحاق بالمدرسة ، ثم يزداد وضوحاً فى حجرات الدراسة مما يشحذ الهمم ويلهب القرائح ، ويدعو إلى التفوق والنهوض ..

ويلاحظ أن تلاميذ المدرسة من أهل الشمال ، أكبر سناً من تلاميذها من أهل الجنوب ، وربما يكون مرجع هذا إلى أن قرب المدرسة من أهل الجنوب يساعدهم على الالتحاق بها فى سن صغيرة .

كما تبدو هذه المنافسة بين الكبار فى شتى النواحى ، ومختلف مظاهر الحياة ، مما قد نعرض له فى سياق الأحاديث .

عبد الحفيظ أبو السعود

٢٩ . ٣٢

والغزل بنوع خاص لم يظفر بنصيبه الذى يستحقه من المرأة بل كان عنصراً عزيز المنال ، قد قامت دونه العوائق ، وتكاثفت أمامه السدود ، وذلك طبيعى للغاية إذا نظرنا إلى البيئة الشرقية التى ترعرعت فيها الفتاة العربية ، وعلمنا أن من الواجب الأكيد على الشاعرة أن تقف إزاء عواطفها القلبية صامتة مفحمة مهما اعتلج صدرها بالشوق ، واستعر فؤادها بالحنين ، وإلا فنحن نرى من الفتيات من نظمن القلائد البديعة فى مختلف أغراض الشعر ما عدا الغزل ، فقد أمسكت حواء عنه ، ولم تحلق بجناحها الشاعر فى أجوائه الفسيحة . فهل كان ذلك عن عىّ أو قصور؟ ! أو أن الرقابة القاسية من الأهل قد أخرست الألسنة الشادية ، وألجمت الطيور الصادحة ، رغم ما نعرفه فى المرأة من شعور دافق وإحساس مشبوب ...

ونحن نعلم جيداً أن بثينة صاحبة جميل ، وأميمة فاتنة ابن الدمينة ، وليلى معبودة قيس ، قد كن شاعرات مجيدات ، فليت شعرى أين ما نظمنه من الغزل الرقيق ؟ مع ما يعترف به التاريخ من تفانيهن فى العشق ، وجنونهن فى الحب ، اللهم إلا أن نجد لكل واحدة مقطوعة ضئيلة لا تتناسب مع ما يتأجج فى صدرها من لهيب !

وإذا كان ابن الأبك يجنح إلى الترنم فى خلسة موانية مهما نصبت حوله الشباك الوثيقة ، وقامت فى وجهه الموانع المتزاحمة فإن الأسفار الأدبية قد حفظت لنا جمرات مشبوبة من غزل المرأة الرائق وهى — على قلتها — تعطيك فكرة تامة عن القيمة العقلية للمرأة ، وتوقفك على كثير من الانفعالات النفسية التى تكابدها الفتاة إذا احترقت فى سعير الغرام

والواقع أن المرأة لم تلج باب الغزل صريحة سافرة بل تلثمت بكل ما ملكته من براقع وخمور ، فكان غزلها فى الغالب تلميحاً يهديك إلى الطريق ويجعلك تسير فيه وحدك دون أن يرافقك فى خطواتك ، وقد تجد من يسلبها الوجد وشادها الناصح ، فتنطق بما يجيش فى صدرها واضحاً سافراً دون أن تتلثم بلثام واحد ولها من شعورها الدافق ، وغرامها المتقد ما يبرر لها الغزل والتشبيب

وصاحبة التلميح أريبة ذكية تعرف من أين تؤكل الكتف فقد استغلت عنصر الحنين إلى الوطن أعمر استغلال ، فاعتمدت

عليه فى التنفيث عن صدرها ، والتعبير عن خوالجها ، لما تعلمه من الصلة الوثيقة بينه وبين الغزل ، وهى بذلك قد أخذت الفتنة الثائرة ، وأغمضت العيون المتنمرة ، ثم — هى فى الوقت نفسه — قد أفهمت حبيبها كل شىء . فأدرك من حنينها الدائب ما يتقد فى أحشائها من شوق . وهـذا فى الواقع مطلب عزيز ، تبذل العاشقة جهدها الجاهد فى تحصيله ، فلم لا تصل إليه من أقرب طريق ؟ ؟

ونحن نعلم عاشقات مدنفات قد اشتهر فى اللاء شوقهن المارم ، فما احتمله قريب أو صديق . بل عمد كل والد إلى فتاته فحملها إلى وطن غريب ، وعقد قرانها فى بلد نازح ، وهنا ترسل النائية حنينها إلى مسارح الصبا وملاعب الشباب ، وأنت حين تقرأه لا تجده غير غزل مقنع قد أهدى إلى الحبيب الأول ففهم منه كل شىء ، ولك أن تعتبر من هذا النوع قول القائلة :

ألا أيها الركب اليمانون عرّجوا علينا فقد أضحى هوانا يمانيا
نسائلكم هل سال نعمان بعدنا وحب إلينا بطن نعمان واديا
فإن به ظلا ظليلا وموردا به نقع القلب الذى كان صاديا

فهـل صحيح أن الشاعرة تقصـد ماء نعمان ، وظله الظليل ومورده الرائق ؟ ! لو كان ذلك وحده ما أحسست بهذه الحسرة المتأججة ، واللهفة المشتعلة ، وما اهتدت الشاعرة إلى قولها الرائع « به نقع (القلب) الذى كان صادياً ! »

ونظائر هذه الأبيات لا تندرج تحت حصر ، وهى تدلنا على فطنـة المرأة ، وذكائها اللماح ، وتؤكد لنا أن الحب كالزهرة الناضرة ، لابد أن يعبق أريجها فى كل مكان تحل به وهل كان الحنين غير عبير فاتن ينعش الأفئدة ويهيج النفوس ؟!

وكثيراً ما تفر المرأة من الحنين إلى الكناية والرمز ، وهى فى ذلك تقتدى بالرجل فتسير وراءه خطوة خطوة ، ولكن أى رجل تتبع ؟ ؟ إنها تعمد إلى شاعر سدت أمامه المسالك ، وصاصلت فى كفه القيود ، فتتجه معه فى اتجاهه ، ما دامت ظروفه القاسية كلابساتها العنيدة ، وإذا كانت المرأة تعتقد فى قرارة نفسها أن الرجل أحزم منها وأعقل ، فإنها تسلك طريقه مطمئنة إلى السلامة واثقة بالنجاة ...

ولعل أصدق مثال نقدمه للقارىء ، هو حميد بن ثور الهلالى فقد كان ممن رح بهم العشق فأرسل قصائده الغزلية سافرة عارية ولكن الحاكم يقف فى وجهه منذراً مهدداً ، فيمنعه من التغريد السافر ، وهنا يلجأ الشاعر إلى الكناية المقبولة فيتغزل فى السرحة مطنباً فى محاسنها الفاتنة ، ولعمرى لقد وفق فى اختياره فالسرحة ذات منظر جذاب ، وثمر شهى ، ونسيم منعش مريح وكل ذلك مما يذكر العاشق المدنف بمعبودته فيتمثلها أمام عينه إذ يقول :

أيا طيب رياها ويا حسن طعمها إذا حان من شمس النهار شروق
وهل أنا إن علات نفسى بسرحة من السرح مسدود على طريق

ومهما يكن من شىء فقـد نفث الشاعر عن صبره . ولم يجعل لأحد سلطاناً عليه ، ثم هو قد فتح الباب على مصراعيه لعلية بنت المهدى شقيقة الرشيد . فقد علقت غلاماً لها يسمى طلا ونظمت فيه من الرقائق الأنيقة ما هو جدير بأمثالها من المثقفات الناعمات ، ولكن هرون يقف أمامها وقفة تحدى بها الفن تحديا صارخاً ، فلجأت إلى التغزل فى السرحة مقتدية بحميد إذ تقول

أيا سرحة البستان طال تشوق وما لى إلى ظل لديك سبيل

ثم تطنب فى وصفها الساحر فتجلس على ناصية الإبداع والافتتان وذلك منها غير كثير ...

وفى رأيى أن هـذه الحيطة جميلة مقبولة تسير مع الأخلاق النبيلة فى مهيع واحد ، وإن كان من الشاعرات السذج من تبالغ فى الحذر والحيطة ، فتعلن لك أنها تتقى الله عز وجل وتأتمر بأمر العفاف ، ثم تعتقد أنها قد أمنت بذلك ما عسى أن يوجه إليها من ملامة أو نقـد ، فتصرح بما يثير حولها الشكوك ، ويجعلها مضغة ملوكة فى الأفواه ، ودونك قول أم ضيغم البلوية

وبتنا خلاف الحى لا نحن منهمو ولا نحن بالأعـداء مختلطان
وبتنا يقينا ساقط البرد والندى . من الليل بردا يحنـة عطران
نذود بذكر الله عنا من الصبا إذا كان قلبانا بنا يجفان
ونصدر عن أمر العفاف وربما نقمنا غليل القلب بالرشفان

وأنا لا أدرى ماذا يفيدها ذكر الله بعـد أن نقمت غليل القلب بالرشفان ؟ وماذا يغنى العفاف بعـد أن باتا فى مكان قاص خلاف الحى ؟ ، اللهم إن هذا احتراس أدى إلى افتضاح ولكن فيه رائحة الطمأنينة على كل حال ...

ومن العاشقات من تصرح للملأ بتقوى الله عز وجل واستحياء بعض العواقب ، ولكنها تعتصم بالعقل فلا تتورط

فيا تورطت فيه أم ضيغم ، بل تسير فى سبيلها المملوء بالشوك يقظة محاذرة ، تتجنب المواثق ، وتتجافى عن المزالق حتى تنتهى من المسير بسلام ، والتفت مى إلى عاتكة المرية إذ تقول :

وما طعم ماء أى ماء تقوله ... تحدر من غر طوال الذوائب
يخرج من بطن واد تقابلت ... عليه رياح الصيف من كل جانب
نقى جرية الماء القذى عن متونه ... فما إن به عيب يتاح لشارب
بأطيب ممن يقصر الطرف دونه ... تقى الله واستحياء بعض العواقب

ثم صارحتنى رأيك عل لاحظت عليها تورطاً وانزلاقاً كأم ضيغم أو وجدت فى قولها ما تشم منها رائحة الريب الآثم ، الحق أنها كانت لبقة ماهرة فيما نظمته ، وأنا لا أدرى لماذا تذكرنى أبياتها بأبيات أخرى تتفق معها فى الطريقة ، وتخالفها فى التفكير .

ونحن لايهمنا أن يكون الإطار من نوع مألوف بل نحرص على أن تكون الصورة جديدة والريشة بارعة كما جاء فى قول ضاحية الهلالية:

وما وجد مسجون بصنعاء عضه ... بساقيه من صنع الفيون كبول
قليل الموالى مستهام ممنوع ... له بعد نومات العشى عويل
يقول له السجان أنت معذب ... غداة غد أو مسلم فقتيل
بأكثر منى لوعة يوم راعنى ... فراق حبيب ما إليه سبيل

فأنت ترى أن الطريقة الأولى هى الطريقة الثانية ولكن معنى عاتكة مكرر معاد(١) أما أبيات ضاحية فذات تصوير مبتكر وأنت لا تستطيع أن ترجع بها إلى قائل متقدم ، مهما أتعبت نفسك فى التنقيب ، ثم هى تصور لك جزع المرأة من السجون ورهبتها من القيود ، وليت شعرى إذا لم نلمس إحساس المرأة من شعرها الناطق فمن أى نبع دافق نستقيه ؟ أما قوة النسج فبارزة بوضوح فى كلتا المقطوعتين

(يتبع)

محمد رجب البيومى

(١) لا تكاد الصورة الوصفية للماء فى قول عاتكة تخرج عن قول كعب بن زهير

تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلول
شجت بذى شبم من ماء محنية ... صاف بأبطح أضحى وهو مشمول
تنى الرياح القذى عنه وأفرطه ... من صوب غادية يض يعاليل

وزارة المعارف العمومية

المراقبة العامة للثقافة

إعـــلان

عن جوائز فؤاد الأول سنة ١٩٤٨

تعلن وزارة المعارف العمومية أن الموضوعات التى سيمنح المبرزون عن الإنتاج فيها جائزة فؤاد الأول للآداب المؤجلة عن سنة ١٩٤٧ وجوائز فؤاد الأول للآداب والقانون والعلوم لسنة ١٩٤٨ هى : —

جائزتا الآداب :

وتمنحان عن الإنتاج فى الآداب البحتة مثل الأدب القصصى والأدب التصويرى والأدب الاجتماعى والشعر والبحوث الأدبية (النقد — البحوث اللغوية — الدراسات الإسلامية الأدبية)

جائزة القانون :

وتمنح عن الإنتاج فى : —

ا — القانون الخاص ويشمل الفقه الإسلامى ، والقانون المدنى ، والقانون التجارى وأوضاع التقاضى وغيرها من فروع القانون الخاص .

ب — العلوم الاقتصادية والمالية .

جائزة العلوم :

وتمنح عن الإنتاج فى العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية . ويدخل فيها بنوع خاص علم الطبيعة التجريبى وعلم الطبيعة النظرى والعلوم الاحصائية وعلم طبيعة الاجرام السماوية (الاستروفيزيقا) والهيدروليكا والميكانيكا والكهرباء .

ويشترط فى الإنتاج الذى يقدم لنيل الجوائز الأربع .

١ — أن يكون ذا قيمة علمية أو فنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار ويهدف خاصة إلى ما يفيد مصر والإنتاج القومى وتقدم العلوم .

٢ — أن يكون قد سبق نشره ولم يمض على نشره لأول مرة أكثر من خمس سنوات من تاريخ الإعلان .

٣ — أن يكون باللغة العربية الفصحى .

ويرسل الإنتاج من أربع نسخ إلى المراقبة العامة للثقافة بوزارة المعارف فى موعد غايته ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٧ .

وقيمة كل جائزة من الجوائز الأربع ١٠٠٠ ج وسيكون موعد منح هذه الجوائز يوم ٢٨ أبريل سنة ١٩٤٨ تخليداً لذكرى المغفور له الملك فؤاد الأول .

٨١٨٧